الاستيطان في العصور الحجرية

بدأت معرفتنا بآثار الإنسان في العصور الحجرية بالمملكة العربية السعودية منذ بداية أعمال الرحالة الأوروبيين، مثل: ولستد J. Wellsted وتشارلز داوتي C. Doughty وهنري فيلد H. Field وجون فيلبي J. Philby وغيرهم، ثم ما تلا ذلك من أعمال لاحقة، بخاصة أعمال البعثة البلجيكية فيما بين عامي ١٩٥١-١٩٥٢م، وكذلك أعمال البعثة الدانمركية الثانية عام ١٩٦٨م في المنطقة الممتدة من ثاج في الشمال حتى وادي الفاو في الجنوب وبعض الجزر الواقعة في الخليج العربي. وإلى جانب ما ذكر يأتي ما أنجزته وكالة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف من أعمال مسح وحفريات آثارية.

وقد ساعدت الأدوات الحجرية المكتشفة على معرفة تاريخ وجود الإنسان في المنطقة وذلك بناءً على استخدام عدة طرق، من أهمها البوتاسيوم آرجون، وتتبع الانشطار، والحدود المغناطيسية القديمة، وبناء عليه عُرف أن زمن أقدم إنسان ترك آثاراً دالة على وجوده، إما عن طريق استخدام الأدوات الحجرية بشكلها الطبيعي أو بعد أن يصنعها، يعود إلى حوالي مليوني سنة قبل الميلاد. ولأن المادة التي استخدمها الإنسان ومن ثم صنع منها أدواته وأسلحته وأوانيه هي مادة الحجر، فقد أطلق على الامتداد الزمني الذي يبدأ بالتاريخ المشار إليه آنفاً وينتهي بسنة ٤٢٥٠ قبل الميلاد اسم العصور الحجرية. وتشمل العصور الحجرية، استناداً إلى تطور تقنية صناعة الأدوات ووظائف تلك الأدوات واختلاف أساليب معيشة الإنسان، ثلاثة عصور رئيسية. كما يقسم كل عصر من تلك العصور إلى أدوار فرعية، وكل دور منها يقسم إلى فترات ثقافية قد تحتوي الواحدة منها على مراحل ثقافية فرعية.

وتسمى كل فترة من تلك الفترات أو مرحلة من المراحل الفرعية باسم مشتق من اسم أول مكان وجدت فيه الأدوات الحجرية، تمييزاً للفترة أو المرحلة. وفي أغلب الأحوال، فإن أسماء الفترات والمراحل مشتقة من أسماء مواضع تقع في القارة الأوروبية، وفي حالات قليلة في القارة الأفريقية أو القارة الآسيوية. وهذه العصور هي:

العصر الحجري القديم

يمتد هذا العصر من مليونين إلى ١٢,٠٠٠ سنة قبل الميلاد. وينقسم هذا العصر إلى ثلاثة أدوار فرعية، هي: العصر الحجري القديم الأسفل، والمتوسط، والقديم المتأخر.

ويمتد دور العصر الحجري القديم الأسفل من حوالي مليوني سنة وحتى ١٢٠,٠٠٠ سنة قبل الميلاد. ويشتمل هذا الدور على فترتين ثقافيتين، الأولى هي فترة الثقافة الألدوانية، وتمتد أكثر من مليون سنة، وتشتمل على ثلاث مراحل فرعية هي: المرحلة المبكرة، (من ١,٩ حتى١,٦ مليون سنة)، والمتطورة (أ)، (من ١,٦ حتى١,٣ مليون سنة)، والمتطورة (ب)، (من ١,٣ حتى مليون سنة). وقد عاش خلال الفترة المعنية الإنسان الذي يعرف باسم أسترالوبيثيكس Australopithecus، ومن بعده إنسان هومو هابيليس Homo Habilis. أما الأخيرة فهي فترة الثقافة الآشولية وتمتد قبل مليون سنة وتنتهي قبل ١٢٠,٠٠٠ سنة قبل الميلاد. وتشمل ثلاث مراحل فرعية هي: المرحلة المبكرة، والمتوسطة، والمتأخرة.

وتفيد الدراسات الأثرية أن إنسان العصر الحجري القديم الأسفل كان في هذه المنطقة خلال الزمن الواقع بين فترة الثقافة الألدوانية المتطورة (أ) وفترة الثقافة الألدوانية المتطورة (ب) بعد أن هاجر إليها من القارة الأفريقية إما عبر ممر سيناء في الشمال أو من خلال باب المندب في الجنوب. ويقدر عمر المادة الأثرية الدالة على وجود أول إنسان في هذه المنطقة بمليون ونصف المليون سنة، كما تدل على ذلك الأدوات التي وجدت في شعيب دحضة في وادي نجران وما وجد على ضفاف وادي الدواسر. وربما يكون العمر أقل بقرن أو قرنين إذا عددنا مواقع قرية الشويحطية، الواقعة إلى الشمال من مدينة سكاكا، أقدم المواقع التي ترجع إلى هذا العصر، إذ إن الأدوات الحجرية المكتشفة توافق فترة الثقافة الألدوانية المتطورة (أ). وتجدر

الإشارة إلى أن وجود الإنسان خلال تلك الفترة كان بين زيادة ونقص يعتقد أن سببها تقلبات مناخية حادة تعرضت لها أماكن وجوده ومنطقة الجزيرة العربية بشكل عام.

وقد شكلت منطقة الدرع العربي، الثلث الغربي للجزيرة العربية، مكان وجود إنسان تلك الفترة. ويعزى ذلك إلى توافر مصادر الأحجار المستخدمة في صناعة الأدوات، ومصادر المياه، ومصادر الغذاء المتمثلة في الأشجار الكثيفة والحيوانات البرية المتنوعة، والكهوف الطبيعية التي ربما استخدمها الإنسان في أوقات الكوارث البيئية. ومن أماكن وجوده شعيب دحضة في نجران، وعلى ضفاف وادي تثليث في حوض وادي الدواسر جنوب منطقة نجران، وفي وادي تثليث نفسه، وبالقرب من قرية الشويحطية في الجوف.

وكان حجر الكوارتز هو مادة صناعة أدواته التي من أوضحها السواطير غير المصقولة، والسواطير اليدوية الصغيرة البيضية التي تظهر على شكل قلب، والأدوات المتعددة السطوح، والأدوات الخشنة الثنائية الوجه، وأدوات كروية، وأدوات شبه كروية، والمكاشط الثقيلة والخفيفة.

نماذج من أدوات العصر الحجري القديم الأسفل (ألدوانية) – مواقع متعددة بالمملكة

وتفيد دراسات الأدوات الحجرية التي وجدت في المواقع، حدوث تطور في نوع الأدوات. كما أن أدوات جديدة ظهرت في نهاية فترة الثقافة الألدوانية المتطورة مما جعلهم يفترضون بداية ظهور فترة الثقافة الآشولية.

وخلال فترة الثقافة الآشولية ازدادت كثافة وجود الإنسان في هذه المنطقة من الجزيرة العربية فشملت جميع أجزائها تقريباً. ومما يدل على ذلك أنه اكتشف في وادي فاطمة ثلاثون موقعاً على الضفة الشمالية للوادي المذكور، وبالقرب من

قرية خمرة الواقعة بمحافظة جدة، تعود إلى الفترة المعنية بالحديث.

ومن أهم الأماكن التي وجد فيها الإنسان آنذاك، الجزء الشمالي من الساحل الشرقي للبحر الأحمر، ومحافظة الطائف، وبالقرب من مركز عشيرة حول الطائف، وجنوب غرب جدة، وبالقرب من مدينة بحرة الجديدة، وعلى الجوانب الشمالية لوادي فاطمة، ومنطقة تثليث، ومرتفعات عسير، وظهران الجنوب، ووادي ثعبان، وجنوب خميس مشيط، وبئر حِمى، ووادي ترج، والوديان الساحلية الشرقية للبحر الأحمر وخاصة تلك التي تقع جنوب البرك وشمال الشقيق وشرق أبي عريش، وشرق الرياض بالقرب من مطار الملك خالد الدولي على سلسلة الجبال المطلة على وادي المخر، وهضبة العرمة، ووادي العتك، ومحافظتي الدوادمي وعفيف.

ويتبين أن الإنسان استخدم في صناعة أدواته خلال هذه الفترة أنواعاً من الصخور من أهمها حجر الكوارتزايت الحديدي، والبازلت، والريوليت، والأندسايت، والأقنيس الناري، والحمم، والجرانيت. ومن أهم أدوات الإنسان المكتشفة: المفارم، والمعاول،

نماذج من أدوات الفترة الآشولية
مواقع متعددة بالمملكة

والأدوات الثنائية الوجه كالفؤوس اليدوية، والأدوات المتعددة السطوح، والمكاشط، ونُوَيّات الأحجار، والرقائق الكبيرة، والسكاكين، والسواطير، والمناقيش، والمسننات.

وفي نهاية هذه الفترة بدأت فترة جفاف طويلة سادت هذه المنطقة قبل مائة وعشرين ألف سنة تقريباً، وتركزت حدتها في مناطق الصحاري. ونتيجة لذلك حدثت هجرات بشرية أدت إلى تركز وجود الإنسان في مناطق الأطراف. وخلال الجزء المتوسط من هذه الفترة،

حدث تغير مناخي نتج عنه حدوث فترة مطيرة تركزت على منطقة الربع الخالي والإقليم الأوسط مما أدى إلى حدوث زيادة في كثافة وجود الإنسان، فظهر على أثر تلك الزيادة دور جديد.

أما دور الاستيطان في العصر الحجري القديم المتوسط الذي يمتد من ١٢٠,٠٠٠ سنة حتى ٣٤,٠٠٠ سنة، فإنه كان يشتمل على فترة الثقافة الموستيرية التي تقسم إلى خمس مراحل، هي: مرحلة الثقافة الموشولية، والموستيرية، والموستيرية ذات الأسنان الدقيقة، والليفالوايز الموستيرية، والموستيرية ذات الرؤوس الدقيقة.

وتتركز مواقع وجود الإنسان في هذه الفترة فوق المرتفعات والروابي القريبة من الجبال التي تطل على الوديان والسهول، وتنتشر في الوديان الشديدة الانحدار في منطقة عسير وظهران الجنوب، وعلى سطوح المصاطب التي تطل على وادي تثليث، وعلى المسطحات المحاذية للوديان، أو في الأخاديد الصغيرة في بئر حِمى، ووادي الدواسر، وشمال صحراء الربع الخالي، ومنطقة يبرين شرق المملكة، ووادي السهباء، ووادي حنيفة، ووادي المخر، ومحافظة المجمعة، ومحافظة الطائف، وجوانب وادي فاطمة، وفي جنوب الكهيفة في حوض سكاكا، وفي جنوب سكاكا.

كما اكتُشف موقع على حافة جبل شاهق في وادي تثليث، وموقع آخر في منطقة جبة بالقرب من حائل. ويعد هذا النمط من المواقع الأول من نوعه إذ لم تُكتشف مواقع من الفترات السابقة على حواف الجبال الشاهقة. وموقع حرة شما الواقعة في منطقة الطائف من أهم المواقع التي ترجع إلى هذه الفترة، إذ تبلغ مساحته ٤٠٠٠م٢، ووجد فيه أدوات حجرية كثيرة جداً تؤرخ لفترات زمنية مختلفة، قد تمثل استمراراً لتقنية صناعية لسكان أقدم من سكان هذا الدور، وآخرين أحدث منهم خلال العصور الحجرية. كما وجد موقع آخر إلى الشمال من الجموم في وادي فاطمة، وتبلغ مساحته ١٥,٠٠٠م٢.

ويتبين من الأدوات الحجرية المكتشفة أن الإنسان قد صنع أدواته من صخور متنوعة، أهمها: حجر الأندسايت، والكوارتز، والبازلت، والبازلت الأخضر، والحجر الأخضر، والريوليت، والشيرت. وتشتمل الأدوات الحجرية التي تعود إلى هذه الفترة على المفارم، والأنصال، ورقائق الليفالوايز، والمكاشط ذوات الأنصال المستعرضة الطرفية، ونويات الأحجار

القرصية، والرقائق المصقولة، ونُوَيَّات الأحجار المحدبة كظهر السلحفاة، والأنصال الليفالوايز، والأنصال المسطحة، والأنصال المصقولة، والأدوات المسننة، والمناقيش، والسكاكين، والمعاول، والمخارز، والمثاقب، والأزاميل.

ويعتقد أن فترة مطيرة حدثت في أواخر فترة الثقافة الموستيرية في هذه المنطقة. فقد دلت تحاليل الكربون المشع C14 على مواد التقطت من قيعان بعض البحيرات الجافة في الربع الخالي على حدوث فترة مطيرة، بدأت من ٣٤,٠٠٠ سنة قبل الميلاد واستمرت حتى ١٧,٠٠٠ سنة قبل الميلاد. كما دلت أيضاً على حدوث فترة جفاف دامت من ١٧,٠٠٠ سنة قبل الميلاد، ولم تبدأ بالتغير إلا مع بداية حقبة الهولوسين، أي قبل ١٠,٠٠٠ سنة. وعليه فإن فترة الثقافة الأورقينيشية، من دور العصر الحجري القديم الأعلى، وفترة الثقافة المكدلينية، هما فترتا جفاف مما أدى إلى انخفاض كثافة الوجود البشري. ولذا يعتقد الباحثون أن فترة الثقافة الموستيرية قد استمرت دون تطور بسبب الهجرات التي قادت إلى تفريغ المنطقة، إلى حد كبير، من العنصر البشري. لذلك لم يحدث تقدم في تقنية صناعة الأدوات الحجرية نظراً لعدم حدوث هجرات بشرية إلى المنطقة، بينما قلت فيها الكثافة البشرية.

أما دور العصر الحجري القديم المتأخر فيمتد من ٣٦,٠٠٠ سنة وحتى ١٢,٠٠٠ سنة قبل الميلاد، ويشتمل على ثلاث فترات ثقافية، هي: فترة الثقافة الأورقينيشية، وفترة الثقافة السولتيرينية، وفترة الثقافة المكدلينية.

وقد عثر، على الرغم مما ذكر عن المناخ، على عدد قليل من المواقع التي ترجع إلى العصر الحجري الوسيط في وادي تثليث، ومنطقة بئر حمى، وجنوب عسير وشرقها، والدوادمي، ومنطقة الطائف، ووادي السرحان.

وتتمثل الأدوات الحجرية المكتشفة في المواقع المذكورة بنُوَيَّات الأحجار ثنائية القطب، والمناقيش المزدوجة الطرق، والأنصال الصغيرة الرقيقة.

ويبدو أن الصناعات الموستيرية قد استمرت في المنطقة حتى حلت فترة الجفاف منذ عشرين ألف سنة ولم تتعدل إلا مع بداية حقبة الهولوسين. ويستدل على ما ذُكر بنتائج تحاليل الكربون المشع C14 التي أجريت على مواد أخذت من قيعان بعض البحيرات في وادي الدواسر والربع الخالي، وكانت نشطة آنذاك فأصبحت جافة في الوقت الحاضر. وقد

أفادت النتائج أن تلك البحيرات كانت تفيض بالمياه الناتجة عن ازدياد كثافة الأمطار مما أدى إلى توافر غطاء نباتي أعان الإنسان على البقاء، وجعل من المنطقة مكاناً مناسباً لجذب جماعات بشرية أخرى.

العصر الحجري الوسيط

ويمتد من ١٢,٠٠٠ سنة حتى ٩٠٠٠ سنة قبل الميلاد. ويعد هذا العصر هو المرحلة الانتقالية بين عصر إنسان الصيد والجمع والالتقاط والتجوال والتنقل، وعصر إنسان الاستقرار والزراعة وتربية الحيوان.

يتميز هذا العصر بشكل عام بالإقامة في الكهوف وبظهور الشفرات الصغيرة، والأدوات الدقيقة، والمشاعل الحجرية المقعرة، وظهور القوس، والسهام، وقاذفات الرماح، والمثقب الدوار، وتماثيل الحيوانات الطينية، ودمى العظم والعاج، والتمثال الأنثوي (تمثال الأمومة)، وأعمال فنية محزوزة على عظام وقرون الحيوانات. ويعتقد أن فترة هذا العصر فترة جفاف وهو ما تؤكده قلة المادة الأثرية التي تنسب إليه.

وقد عثر على موقع في محافظة المجمعة وجد فيه هلال مكروليثي محدد. كما اكتشف موقع آخر بالقرب من بلدة مرات في منطقة الرياض عثر فيه على رمح قزحي صغير الحجم. ويجب أن نذكر أيضاً أنه قد اكتشف حديثاً عدد من الكهوف تحتوي على رسوم ملونة باللونين الأسود والأحمر وفي بعض الأحيان باللون الأصفر. ففي منطقة بئر حمى اكتشف كهف يحتوي على رسوم لأشخاص آدمية شديدة الشبه بما نشاهده في كهوف فرنسا من ناحية الألوان المستخدمة، وأحجام الشخصيات المرسومة. كما اكتشف كهف في القويع في محافظة حوطة بني تميم، يحتوي على ثلاث وعشرين لوحة مرسومة

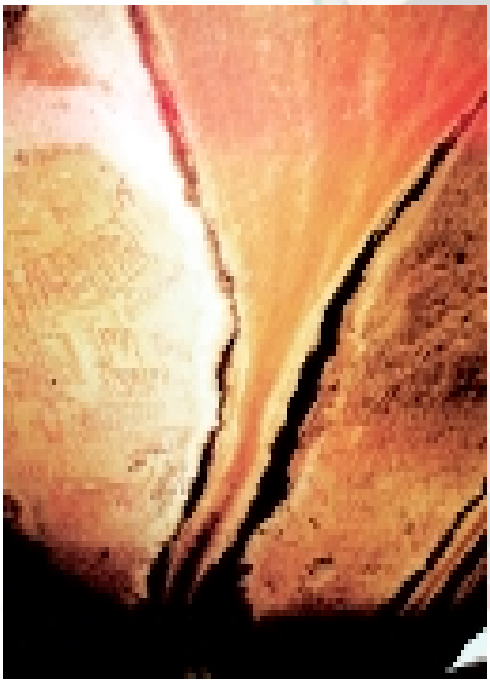

رسوم ملونة باللونين الأسود والأحمر
كهف بمنطقة بئر حمى

بأشكال هندسية وملونة بالأسود والأحمر والأصفر، وهي تشبه ما يوجد في الكهوف الأوروبية من حيث إن اللوحات منفذة على السطح الداخلي للكهف. وعثر أيضاً على عدد من الكهوف بالقرب من مدينة أبها في منطقة عسير وجد فيها رسوم ملونة لبشر وحيوانات، مثل الجمل والوعل بالحجم الطبيعي والمضاعف، وعلى أشكال هندسية متعددة.

العصر الحجري الحديث

ويمتد من ٩٠٠٠ إلى ٦٠٠٠ سنة قبل الميلاد، ويعد آخر العصور الحجرية. وهو يمتاز بخصائص عامة، هي: الاستقرار والإقامة في أماكن معينة فيها مقومات الإنتاج، وممارسة الزراعة، وظهور أدوات حجرية أكثر تقدماً مما سبق، واستئناس الحيوانات الداجنة، وظهور صناعة الأواني الفخارية، وإقامة المنازل وأماكن التعبد والمقابر. ويقسّم هذا العصر إلى دورين رئيسيين، يعرف الأول منهما بالعصر الحجري الحديث قبل صناعة الفخار ويمتد من ٩٠٠٠ وحتى ٦٠٠٠ سنة قبل الميلاد. ويمتاز هذا العصر بازدياد في نسبة أماكن إقامة الإنسان خلال العصر الحجري الحديث،

أحد مواقع العصور الحجرية في شرق الرياض

فقد اكتشف في شرق مدينة الرياض ثمانية وخمسون موقعاً من بينها ثلاثة وعشرون موقعاً من هذا العصر.

وعثر على آثار لإنسان هذا الدور في جميع مناطق المملكة العربية السعودية، ولكن المواقع تتفاوت في الحجم والموقع الجغرافي والنشاط البشري. ويتبين أن منها المستوطنات الضخمة التي تحتوي على بقايا منازل وأماكن تعبد ومقابر، ومنها المواقع الصغيرة التي يدل ما وجد فيها على أنها أماكن للإقامة القصيرة، ومنها أماكن مخصصة لتصنيع الأدوات أو ما يعرف باسم المحاجر، ومنها الأماكن التي يعتقد أنها كانت ملاجئ مؤقتة لرُعاة ذلك العصر، أو ما يعرف باسم أماكن الإقامة الموسمية.

وبشكل عام تنتشر مواطن الاستيطان في الصحاري الرملية، وعلى قمم ومنحدرات الجبال، وفي الفجوات الواقعة بين السلاسل الجبلية، وعلى حواف الأودية ومصاطبها، وبجوار جوانب البحيرات التي جفت في الوقت الحاضر، وقد عثر على مواقع تعود إلى هذا العصر في مواطن منها: الجلدة، وشرورة، وجنوب المتبطحات، والمندفن في الربع الخالي، وأبها،

رسوم صخرية على مدافن دائرية في جبل براقة بالدوادمي

رسوم صخرية – جبل البيضتين – الدوادمي

ورنية، وبيشة، وتربة، والطائف، وخيبر، وسواحل البحر الأحمر الشرقية، وظلم، ووادي فاطمة، ووادي الدواسر، والسليل، والدوادمي، وضرما، وسدوس، والقصيم، وأماكن متفرقة في وادي حنيفة وعلى جوانبه، ومحافظة المجمعة، وشرق مدينة الرياض بالقرب من مطار الملك خالد الدولي، والثمامة، وعروق بنبان، ونفود السر، وعريق البلدان، وشمال سكاكا، والنفود الكبير، وجبة، وكلوة، وعين دار، والظهران، وواحة يبرين.

ومن أهم المواقع التي ترجع إلى العصر الحجري الحديث (قبل صناعة الفخار) في الإقليم الشمالي يأتي موقعان في منطقة كلوة وجد فيهما رسوم صخرية ودوائر حجرية، وأدوات حجرية يعتقد أنها استخدمت في تنفيذ الرسوم الصخرية.

ويعد موقع وقير في محافظة الطائف من أهم المواقع لأنه يحتوي على دوائر حجرية ضخمة، ودوائر حجرية متداخلة، وأدوات حجرية تتميز بصغرها، ورأس سهم مشذب الوجهين وذي سيلان.

وفي منطقة تربة، على حافة حرة النواصف، غرب الطائف يوجد أحد المواقع المهمة، وقد وجدت فيه دوائر حجرية يعتقد أنها أساسات لمبان كانت تعلوها، ومشيدة من مواد قابلة للتلف، ووجد حول تلك الدوائر وفي داخلها أدوات وأسلحة حجرية ترجع إلى ستة أنواع من الصخور، وعظام متكلسة، وأصداف بحرية مستوردة، ورؤوس سهام ذات سيلان، كما وجدت ثلاثون مقبرة ركامية ضخمة لها ذيول.

وهناك موقعان في الإقليم الأوسط من المملكة يعدان من أهم المواقع لأنهما يجمعان نماذج من الرسوم الصخرية

بقايا مبنى من العصر الحجري الحديث – موقع الثمامة – شرق الرياض

وأدوات صوانية، يبدو أنها استخدمت في تنفيذ الرسوم الصخرية. وهناك موقع آخر في الثمامة شمال شرق مدينة الرياض، عثر فيه على بقايا لمساكن تظهر بتصاميم متنوعة، وأماكن تعبد، وآبار، ورسوم صخرية، ورُحِيٍّ حجرية، وأدوات وأسلحة حجرية تدل على درجة من التقدم في الصناعات الحجرية في ذلك العصر.

وعثر في منطقة سدوس شمال غرب مدينة الرياض، وكذلك بالقرب من محافظة ضرما، على عدد من المواقع وجدت فيها قطع مصنعة من الحجر الجيري المحلي، وتضم نويات الأحجار والأنصال والرقائق والسنون والمثاقب والمكاشط ومخلفات التصنيع. وفي محافظة الدوادمي يوجد موقعان وجدت فيهما أدوات حجرية إلى جوار منشآت مواجهة للغرب.

وفي جنوب المملكة عثر بالقرب من مدينة أبها على عدة مواقع تشتمل على رسوم يظهر فيها القوس والسهم من بين الأسلحة التي استخدمها الإنسان خلال ذلك الزمن المبكر، بالإضافة إلى موقعي الجلدة، وجنوب المتبطحات في صحراء الربع الخالي، حيث عثر على

بقـايا مـنازل وحـطام عـظام ورُحِـيٍّ حجرية. ومن المواقع المهمة يأتي موقع الحمّة في وادي بيشـة، وخشم شهيل في حـرة النواصـف، جنوب رنـية، وموقـع مسـجل برقـم ٦٩/٢١٠ في سجلات إدارة الآثار والمتاحف السعودية في منطقة مهد الذهب.

وجمعت مادة أثرية ضخمة من مواقع هذا الدور أغلبها من الأدوات الحجرية، وتوضـح هذه المـادة الأثرية اسـتخدام الإنسان لعـدد من أنواع الصخور الـتي من أهـمها الحجـر الرملـي الحديدي، والـشـيـرت، والـشـيـرت الأسـود، والكوارتزايت، والكوارتزايت الحديدي، والكوارتز الأبيض، والحجر الأخضـر، والصوان.

وتشتمل الأدوات والأسلحة الحجرية على رؤوس الحراب، ورؤوس السهام، ومجارف، وأدوات مسننة، ومـناخس، وأنصال ذوات أكتاف مشحوذة الوجهين، وشظايا ورقية، وشظايا ثنائية الوجه وكبيرة الحـجـم، وأنـصـال ذوات سـيـلان، ومقـاشط، وقواديم حجـرية مصـقولة ومشحـوذة، وفؤوس حجرية مصـقولة ومشحوذة، وشظايا من الزجاج البركاني، وشظايا مدبـبة ذوات أطراف طويلة لها شكل شبيه بشكل الساق، وأطراف معينية الشكل، وقطع تشبه ورقة النبات، وشظايا ورقية على شكـل معين، وقطع رمحية الشكل، وأنـصال، وشظايا مصـقولة، ومثاقب، ومفارم قرصية الشكل.

كما تكشف المادة الأثرية المكتشفة عن بقـايا مـنشآت المـساكن الـتي شـيدت باستخدام قطع حجريـة ضخمة، تظهر على شكـل ألواح مسطحة أو كتـل قد تكون مستطيلة أو مـربعة. وتظهر تلك

رؤوس سهام من حجر الصوّان
موقع الثمامة – شرق الرياض

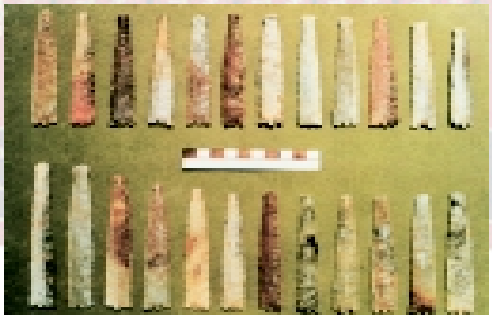

مجموعة من الحراب الصوّانية
موقع الثمامة – شرق الرياض

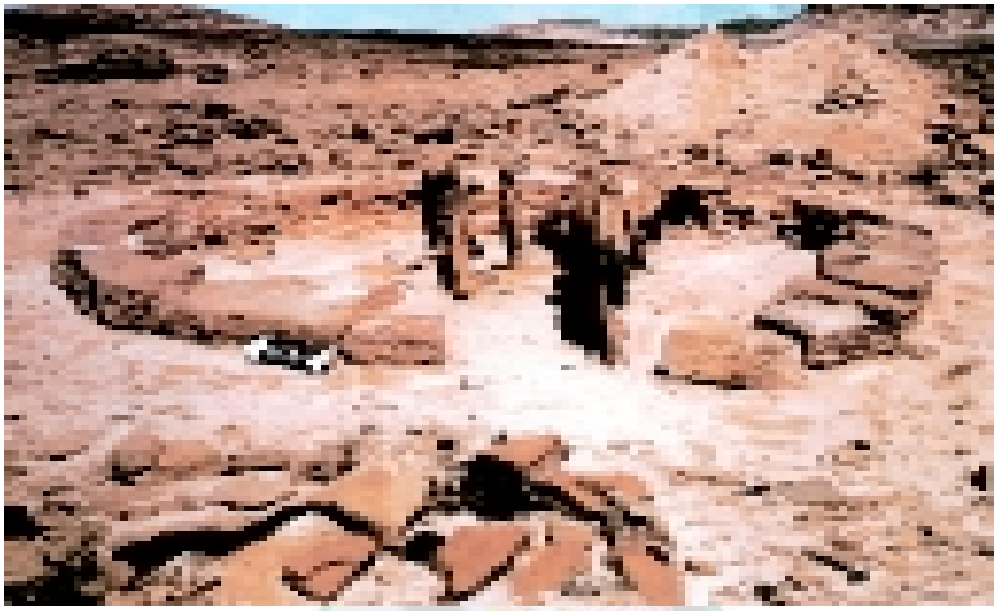

بقايا مبنى دائري الشكل من العصر الحجري – موقع الثمامة – شرق الرياض

المنشآت بتصاميم متنوعة، منها الذي له شكل الثعبان، والشكل الدائري، والشكل البيضي، والشكل المستطيل. وكذلك المقابر الحجرية التي تعرف باسم الرجوم الحجرية والتي وجدت منها أعداد كبيرة في مواقع مختلفة. وتكشف أيضاً عن الرسوم الصخرية التي تحتوي على مناظر متنوعة، منها ما يخص الإنسان، ومنها ما يخص الحيوان، ومنها ما يخص البيئة. وكذلك أصداف بحرية، وحجر السحن، وكسر بيض النعام، والخرز، وأدوات من الحجر الصابوني.

وقد كشفت هذه المادة الأثرية أن الإنسان كان ما يزال يعتمد في حياته على الصيد وتربية الماشية، وربما الزراعة الموسمية أو جني المحاصيل البرية، ذلك لأن جميع معثوراته التي اكتشفت تدل على ما ذكرنا، لأنه لا يوجد من بينها أدوات ذات صلة بالزراعة. كما يتضح أن الإنسان بدأ يعتمد على استغلال البيئة، ويتجه تدريجياً نحو الاستيطان. وخلال نهاية هذا الدور بدأ الإنسان يقيم في أماكن معينة، مما أدى إلى ظهور صناعة الآنية الفخارية التي وجدت في مكان واحد مع الأدوات الحجرية في الطبقات الاستيطانية السفلى في موقع عين قناص في المنطقة الشرقية، والتي أرخت ببداية الألف السادس قبل الميلاد.

أما الفترة الثانية فتعرف بدور العصر الحجري الحديث (عصر استخدام الفخار)، وتمتد من ٦,٠٠٠ إلى ٣٤٠٠ سنة قبل الميلاد. ويبدو أن الإنسان في هذه الفترة قد اتجه إلى السواحل حيث توصل إلى معرفة صناعة الآنية الفخارية، أو أن سكان السواحل من دور العصر الحجري الحديث (قبل صناعة الفخار) هم الذين توصلوا إلى تلك الصناعة، وبعد ذلك انتشرت في الأجزاء الداخلية. فقد عثر في المواقع الأثرية على بقايا أوان فخارية بين أكوام من الأصداف البحرية تقع على سواحل البحر الأحمر بالقرب من جازان، أُرخ لها بالألف السادس قبل الميلاد تقريباً. كما يتبين من تدرج المادة الأثرية في الموقع الواحد أن الإنسان واصل إقامته في أماكنه التي كان يقيم فيها في الدور السابق، وأن كل ما حدث هو تطوره في تقنية صناعته الحجرية، وإدخاله مادة حجر الزجاج البركاني ضمن مواده الخام، ومعرفته صناعة آنية الفخار، وآنية الحجر الصابوني، وظهور أدوات كالمنجل تدل على ممارسته الزراعة الحقلية، ومواد أثرية تدل على سعة الانتشار.

أما المواقع الأثرية التي ترجع إلى دور العصر الحجري الحديث الفخاري، فيبلغ عددها المئات. ولعل من أهمها مواقع فترة العُبيد التي يبلغ عددها أربعين موقعاً، وجميعها تقع في المنطقة الشرقية، ويعد موقع عين قناص من أهمها، إذ نقّبت عن أجزاء منه أثبتت نتائجها أن هناك تدرجاً استيطانياً يربط بين دور العصر الحجري الحديث (قبل صناعة الفخار) ودور العصر الحجري الحديث (عصر استخدام الفخار). كما وجد في الموقع ما يثبت استخدام الأسيجة الدائرية، والمواقد المشيدة، والمونة الطينية والجصية المستخدمة في تبطين أسيجة كانت مشيدة من مادة قابلة للتلف كالأخشاب.

وفي المنطقة الشمالية من المملكة ظهرت بعض الدلائل على وجود هذا الدور. فقد عثر في جبة بمنطقة حائل على موقعين وجد في كل منهما كسرة

كسر من فخار العُبيد
موقع الدوسرية – المنطقة الشرقية

آنية فخارية، إلى جانب اكتشاف الأدوات الحجرية التي تنسب إلى العصر الحجري الحديث (عصر استخدام الفخار).

وهناك عدد من المواقع في المناطق الجنوبية الغربية، من أهمها موقع عند قاعدة الحرة، فوق مصطبة غير مرتفعة ينتشر فوقها حصى البازلت عند لسان خليج وادي الغرس الضيق، وجدت فيه أدوات حجرية متميزة، وكسر فخار، وأسيجة دوائر حجرية تنتشر بينها كومات منخفضة من الأحجار، وأرضيات يعتقد أنها بقايا أرضيات أفران، ودائرة حجرية صغيرة يبلغ قطرها ٧م، وركام مدفن يقع فوق منحدر أكثر انخفاضاً على حرة تطل على الموقع من الشمال، ويبلغ عرض المدفن خمسة أمتار وارتفاعه متراً ونصف المتر.

وثمة مادة أثرية ضخمة من مواقع ذلك العصر، وهي تشتمل على المادة الثابتة كالعمارة والآبار والرسوم الصخرية، وأخرى منقولة مثل آنية الفخار وآنية الحجر الصابوني والأدوات والأسلحة الحجرية بأنواعها المختلفة. ويمكن حصر المادة الأثرية المنسوبة إلى هذا الدور في الرُّحِيّ الحجرية، وهي مصنوعة من حجر الجرانيت، والحجر الرملي، وحجر البازلت، والشيست الأخضر. وتظهر الرّحِي بأشكال متعددة وأحجام مختلفة، ففيها الدائري، والمحدب، والمسطح، والبيضي، والمربع؛ أما من ناحية الحجم فوجد من بينها الضخم جداً، والحجم الشبيه بالحجم الذي كان مستخدماً قبل وقت ليس ببعيد. كما يظهر منها المصقول على وجه واحد أو على الوجهين، ومنها الخشن الذي يتفاوت في درجة خشونته. وكذلك في بقايا الأفران التي تتمثل بمصاطبها والحجارة المستخدمة في بنائها. وبقايا الهياكل البشرية والحيوانية. والأصداف البحرية والأدوات الحجرية المصنعة من مادة حجر السحن. والخرز الذي يشمل خرز القنوس، وخرز الصدف، والخرز الحجري، وقشور بيض النعام، وبيض النعام المتحجر، والأواني المصنوعة من الحجر الصابوني التي وجد بعضها غير مكتمل الصنع. وكذلك أدوات مصنعة من الحجر الصابوني، وأصداف سنية، وأصداف مزخرفة بالنحت الغائر. كما عثر على كميات من الآنية الفخارية التي تحتوي على أنواع خشنة، وأنواع جيدة، بأسلوب صناعي متنوع، فمنها ما هو صناعة يدوية، ومنها المصنوع بالدولاب الفخاري. وتتنوع الزخرفة وعناصرها، فيظهر المزخرف باستخدام الألوان،

أربعة نسور محفورة على حجر صابوني – موقع تاروت – المنطقة الشرقية

والمزخرف بإحدى طرق قطع العجينة الصلصالية.

كما عثر أيضاً على بقايا أماكن التعبد التي استخدمت الحجارة في بنائها، وكانت تتجه ناحية الشرق أو الغرب.

أما بقايا المساكن فقد اختلفت في تخطيطها، وتباينت في أحجامها ومادة بنائها. فنجد التخطيط الدائري والمستطيل الذي يشبه شكل نعل الفرس. أما من ناحية الحجم، فهناك المنزل الذي يتكون من غرفة واحدة، والمنزل الذي يحتوي على غرفة واحدة وأمامه فناء واسع، والمنزل الذي يتكون من عدد من الغرف.

وأما مادة البناء، فإما أن تكون من قطع الحجارة الضخمة، التي يقوى تماسكها بتشقيصها بشقوص حجرية صغيرة، أو أن تكون من مادة قابلة للتلف كعسب النخيل وجذوعها وكالأخشاب التي تبطّن عادة بمادة الطين أو الجص.

وواضح أن الإنسان قد اعتمد في حياته على أربعة موارد رئيسية، أولها الزراعة. فقد اكتشف عدد من الأرحية الحجرية ذوات الأشكال المتنوعة والأحجام المختلفة في كثير من المواقع التي تعود لهذه الفترة. وهناك كثافة لهذه الأرحية في مواقع الربع الخالي، فمثلاً

اكتشف في موقع شـرورة وحده إحدى عشرة رحى. وما ذكرنا يدل دلالة شبه مؤكدة علـى أن الزراعة كانت متـطورة وذات عائد إنتاجـي أكثر من ذي قبل. وتدل سطوح تلك الرحي، التي تكـون أحياناً خشنة وأحياناً مصقولة، على أن الإنسـان كان يسـتخدمـها في الجـرش والطحن. كـما وجد في بعض المواقع بقايا منازل بدائيـة، وكسر فخار، وآبار مطوية ومـطمورة في الوقت الحـاضر، وبذور حبوب القمح والشعير.

والمورد الثانـي تجارة المقايضة، فقـد اكتـشفت أدوات مـصنوعة مـن حجر الزجاج البركاني في مواقع الربع الخالي، ومواقع شرق الرياض، ومواقع فترة العبيد في المنطقة الشرقية، وموقع في بئر حمى، وآخر إلى الشمال من نجران، وموقع في منطقة تثليث؛ ويعرف أن تلـك البيئات لا توجد فيها مـصادر المادة الخام لحجر الزجاج البركاني، ولذا فمن البديهي أن الإنسان قد جلبـها من أماكنها الأصلية ليقـايض بها. كما عـثر على مادة من الأصداف البحرية في مواقع تقع في قلب المملكة العربيـة السعودية كمواقع شرق الرياض، وقد وجد أيضاً في أحدها خرزة من الـقنوس، وفي مـوقع آخر صدفـة سنية. وبعد دراسة كل منهما ثبت أنهما لا يوجدان إلا في الخليج العربي أو البحر الأحمر، ولذا كان من الواضح أنهما قد جلبتـا من تلك الأماكن ليقـايض بهما سلعـة أخرى. ويشكل فخـار العُبيد، بزخـرفته المـميزة، شـاهداً على سـعة الاتصال التجـاري. فقد وُجد في بلاد فارس والبحرين وقطر والإمارات العربية المتحدة، وجنوب وشمال بلاد الرافدين وشمـال سوريـا والأردن. ومن الأدلة الأخرى مجموعة من الـرحي التي عثر عليها في الموقع المسجل بـالرقم ٢٠٧/ ٧٩ في سجلات إدارة الآثار والمتـاحف السعودية في شرق الرياض مصنوعة من حجر الجرانيت الذي يبعد أقرب مصدر له من الموقع حوالي ١٥٠كم. ويضاف إلى ما سبق من أدلة، مجموعة من آنية الحجر الصابوني التي وجدت في مواقع الربع الخـالي وكذلك شـرق الرياض، وموقعين في تثلـيث. ومن المعروف أن الحجر الصابونـي لا يتوافر في الأماكن التي ذكرناها، وعليه فالمادة مجلوبة من مكان آخر.

والمورد الثالث هـو الرعي، إذ تفيد التحـاليل العـلمية الـتي أجريت علـى مجموعات من العظام التي التقطت من بعض المواقع، أن الماعز والأغنام والأبقار والخيول كانـت من الحيوانات الموجودة

بصفتها الأليفة أو غير الأليفة إلى جوار إنسان هـذا الدور من العـصر الحجري الحديث. وتدل مناظر الرسوم الصخرية على وجود الحيوانات التي أشرنا إليها، بجانب حيوانات أخرى مثل النعام والماعز الجبلي والأبقار الضخمة والجمال وكلاب الحراسـة وكلاب الصـيد، وحيـوانات متوحشة كالأسود والنمور والذئاب. كما وجدت أدوات حـجرية، مـثل المخارز والمفارم والمثاقب في مواقع الدور المعني، وتفيد أن الإنسان قد استخدمها في تصنيع أدوات من عظام وجلود وأصواف تلك الحيوانات.

والمورد الرابـع هو الثروة البحـرية، خاصة لإنسان المواقع الساحلية كأغلـب مواقع فترة العُبيد التي وجد بها سنارات لصيد الأسماك وكميات كبيرة من المحار المستهلك. ولا شك أن موقع أبي خميس على رأس خـليج الزور، على سـاحل الخليج العربي، خير مثال بما يحتويه من المحار المستهلك.

وقد تعرضت حياة إنسان دور العصر الحجري الحديث (عصر استخدام الفخار) إلى تقلبات مناخية، جفت بسببها موارد المياه الدائمة وشبه الدائمة، فبدأت حياة إنسان ذلك العصر بالتحول. فأخذ يستقر في الأماكن التي يسهل عليه أن يحصل على الماء فيها بـحفر الآبار، وتتوافر له فيها أرض صالحة للزراعة، وحولها أماكن مناسبة لرعي حيواناته. وبدأ أيضاً بممارسة صناعة التعديـن الذي كانت مصنوعاته من أهـم السلع الـتي يمكـن أن تصدر ويقـايض بها. ولـذلك تغـير أسلوب الاستيطان في الجزيرة العربية عندما أصبح الإنسان يقيم في أماكن تقع قرب مصادر المياه، والتربة الجيدة، والمـراعي الغنية، وأماكن التعدين، ونقاط عبور التجارة، سواء في البحر أو البر.

نهاية الألف الرابع حتى نهاية الألف الثاني قبل الميلاد

يبدأ من ٣٤٠٠ حتى ١٠٥٠ قبـل الميلاد. والواقع أن نهايـة الألف الرابع تعد النهاية الفعلية لما يعرف باسم العصور الحجرية، إذ يبدأ العصر التاريخي عندما عرفت الكتابة في كثير من بلدان الشرق الأدنى القديم. أمّا الجزيرة العربية، فإن الحد الفاصل بين العصر الحجري الحديث وما تلاه من عصـور غير واضح، لأن تاريخ معرفة الكتابة فيها مسألة خلافية بين البـاحثين. ولكن يمكـن عدّ نهاية الألف الرابع قبل الميـلاد تأريخاً لنهاية دور العصـر الحجري الحديـث (عصر اسـتخـدام الفـخار) وبـداية لـعـصر

الحضارات المميزة التي أمكن تمييزها بمادة أثرية خاصة بكل واحدة منها، لوجود عدة مبررات يأتي في مقدمتها اكتشاف مستوطنات رئيسية تشتمل على جميع المظاهر اللازمة لحياة الإنسان المستقر والمنظم. وكذلك اكتشاف مواقع في وسط المملكة العربية السعودية وشمالها الغربي تحتوي على بقايا أفران وخبث معادن. ويدل اكتشاف ما ذكرنا على أن الإنسان قد بدأ فعلاً بصناعة التعدين. فضلاً عن اكتشاف بقايا النحاس والقصدير وخبثهما والأدوات المصنعة منهما، مثل المخارز وأنصال السكاكين في جميع الفترات الثلاث التي عاشتها مستوطنة هيلي (٨) والتي يعود أقدمها إلى نهاية الألف الرابع قبل الميلاد.

واستناداً إلى الأدلة الآنفة الذكر، فإن نهاية فترة العُبيد، التي تؤرخ إلى ما بين ٣٥٠٠ و٣٤٠٠ قبل الميلاد، تعد الحد الفاصل بين ما يعرف باسم دور العصر الحجري الحديث (عصر استخدام الفخار) وعصر الحضارات المميزة الذي يشتمل على أربع حضارات تعرّف عليها الدارسون بدقة، هي: حضارة هيلي، وأم النار، ودلمون، ومدين. وسوف نستعرض تلك الحضارات بإيجاز على النحو التالي:

حضارة هيلي (٣٤٠٠-٢٧٥٠ سنة قبل الميلاد). حضارة هيلي أقدم الحضارات المميزة التي ظهرت بعد اختفاء فترة العُبيد. واسمها مشتق من اسم منطقة هيلي في الإمارات العربية المتحدة حيث وجدت مخلفاتها الحضارية لأول مرة. ويعد موقع هيلي (٨) الموقع المميز لهذه الفترة نظراً لتنفيذ عدة مواسم من أعمال ميدانية كشفت عن مستوطنة تحتوي على ثلاث فترات استيطان رئيسية، تعود أولاها إلى الربع الأخير من الألف الرابع قبل الميلاد وتستمر حتى نهايته. وتبدأ ثانيتها من بداية الألف الثالث وتستمر حتى نهاية الربع الأول من الألف الثالث قبل الميلاد. أما ثالث تلك الفترات فتعاصر الحضارة التالية لحضارة هيلي (أم النار) وتندرج تحت اسمها، إذ إنها أقل شهرة منها.

ويتضح من الدراسات الآثارية أن هذه الفترة تشتمل على مستوطنات إقامة دائمة مارس فيها الإنسان الزراعة وصناعة الأدوات الحجرية والمعدنية، واستخدم في عمارة المنازل مادة الحجر بالإضافة إلى الطين. وتتميز مستوطنات تلك الفترة بصغر حجمها وتقاربها، واحتواء كل مستوطنة منها على مقبرة خاصة بها تقع بالقرب منها. ووجد، بالإضافة إلى ما

ذكر، آبار عديدة في مستوطنات هذه الفترة وحولها، ويعتقد أن الإنسان استخدمها في ريّ أراضيه الزراعية بنظام لمّا تُعرف تفاصيله بعد.

وتتكون المادة الأثرية لهذه الفترة من مجموعات من الآنية الفخارية، يظهر من بينها المزخرف باللون الأسود، وآنية بعضها مزخرف ومصنوع من عدة أنواع من الصخور، أكثرها شيوعاً حجر الكالسايت. كما عثر على مواد مصنوعة من النحاس، مثل أنصال السكاكين والمخارز والمثاقب. واكتشف أيضاً أدوات تدل على مزج القصدير بالنحاس. ووجد أيضاً ما يدل على ممارسة صناعة الحُصُر والسلال، إذ تظهر طبعاتها على قطع الطين المتساقطة من سقوف المنازل. واستخدمت الأصداف في صناعة الحلي مثل الخواتم والخرز، بالإضافة إلى مواد أخرى.

إناء فخاري من حضارة هيلي
٣٤٠٠-٢٧٥٠ سنة ق.م.

ولا شك أن الاقتصاد اعتمد على دعامتين بالإضافة إلى تربية الماشية. أولى الدعامتين هي الزراعة التي كانت تروى من الآبار المحفورة. وقد اتضح في ضوء التحاليل العلمية التي أُجريت وجود زراعة شجر النخيل وبعض الفواكه مثل الشمام، وبعض الحبوب كالشوفان والقمح والشعير والذرة.

والتجارة هي الدعامة الثانية لاقتصاد هذه الحضارة إذ تدل كتابات بلاد الرافدين، من أواخر الألف الرابع قبل الميلاد، على أن السلع كانت تستورد من الجنوب. ويدل وجود القصدير في مستوطنة هيلي (٨) على أنه كان يجلب من منطقة أفغانستان حيث توجد مصادره، ثم يصنع ويعاد تصديره. وتمثل المعادن شاهداً على التجارة، ويبدو أنها كانت تجلب من مناجم عمان، التي كانت تعرف قديماً باسم ماجان، وتصدر إلى بلاد الرافدين التي لا توجد بها مصادر للمعادن وكانت الحاجة إليها ماسة وأساسية.

أما الحياة الرعوية فقد عثر في الأماكن التي نقّبت على بقايا عظام لحيوانات

استخدمت في الحياة اليومية، كالماعز والأغنام والأبقار. وعثر أيضاً على بقايا لعظام الجمال، التي لم يثبت بعد أنها كانت مستأنسة في هذه الفترة.

وتفيد الدراسات الأثرية أنه قد ظهرت في نهاية الربع الأول من الألف الثالث قبل الميلاد حضارة أخرى لم تلبث أن طغت على حضارة هيلي فانتزعت منها القيادة، علماً بأن الاستيطان في منطقة هيلي استمر حتى نهاية الألف الثاني قبل الميلاد.

حضارة أم النار (من ٢٧٥٠ إلى ٢٤٠٠ قبل الميلاد). خلال الفترة الثانية في هيلي بدأ ظهور حضارة جديدة عرفت باسم حضارة أم النار نسبة إلى جزيرة أم النار الواقعة في الإمارات العربية المتحدة على بعد ٢٠كم من مدينة أبو ظبي. وقد عُرفت هذه الحضارة بذلك الاسم لأن جزيرة أم النار هي أول مكان وجدت فيه المادة الأثرية المميزة لهذه الحضارة. ويبدو أن العناصر البشرية التي أحدثت تغيراً في الاستيطان قدمت إلى الجزيرة العربية من الشرق، نظراً لأن المخلفات الحضارية لتلك الفترة، وخاصة آنية الفخار، تُظهر تأثيرات شرقية تتضح بمقارنة عناصرها الزخرفية مع العناصر الزخرفية التي تظهر على فخار مستوطنة بمبور في الهضبة الفارسية. وقد أُرخت هذه المجموعة التي تظهر عليها عناصر زخرفية مماثلة للعناصر الزخرفية في مجموعة أم النار بالنصف الأول من الألف الثالث قبل الميلاد.

ومن أبرز المواقع التي ترجع لهذه الفترة في المملكة العربية السعودية موقع تل تاروت، ومواقع جنوب الظهران، وموقع الرجاجيل في الجوف، وعدد من المواقع المتناثرة في مختلف أقاليم المملكة.

وقد اشتملت المادة الأثرية التي عُثر عليها في مواقع فترة هذه الحضارة على الأختام والتماثيل والنقوش والآنية الفخارية وآنية الحجر الصابوني وآنية المرمر الأبيض. كما عثر أيضاً على مواد أثرية ثابتة، كعمارة المنازل في المستوطنات وعمارة المقابر التي تحتوي واجهاتها على رسوم حيوانات منحوتة كالغزلان وبعض الزواحف مثل الثعابين.

ويبدو أن انتشار هذه الحضارة وصل إلى أرجاء الجزيرة العربية المختلفة، فقد وجد في المناطق الجنوبية الغربية للمملكة خرزة من نمط خرز أم النار الحجري، كما عثر على مجموعة من الخرز أسطواني الشكل في موقع ركام ساحلي كبير يقع إلى الشمال من البرك. وتوجد مقابر في

وسط المملكة يوضح تخطيطها شبهاً مماثلاً لتخطيط مقابر أم النار. وفي المنطقة الشرقية اكتشف الفخار المميز لهذه الفترة في الطبقات السفلى في تل تاروت، وكذلك في بعض المقابر التي حفرت في حقل جنوب الظهران. كما اكتشف في المنطقة نفسها ستة أختام من طراز أختام أم النار، وجد واحد منها في جزيرة تاروت، واثنان في شمال الظهران، وثلاثة في جنوب نادقان. وعثر أيضاً في مقابر جنوب الظهران على كمية من الأدوات النحاسية التي تعود إلى هذه الفترة، وتشتمل على خاتم وأجزاء من أسورة وخلخال وسهم. وعثر في الإمارات العربية المتحدة على عدد من المثاقب النحاسية وشفرة حلاقة وأزاميل ومخارز وصنارات لصيد الأسماك وأختام.

وقد وجدت كميات كبيرة من الخرز صنعت من مواد مختلفة شملت الحجر الصابوني والعقيق والأصداف واللؤلؤ والحجر البركاني والصوان والصلصال. أما ما وجد خارج المملكة من المادة ذاتها فيحتوي على كميات ضخمة ومتنوعة، سواء من ناحية الأشكال أو المادة الخام أو الزخرفة، ومن ذلك ما عثر عليه في إحدى مقابر منطقة هيلي في الإمارات العربية المتحدة، حيث عثر على ثلاثة آلاف خرزة دفعة واحدة.

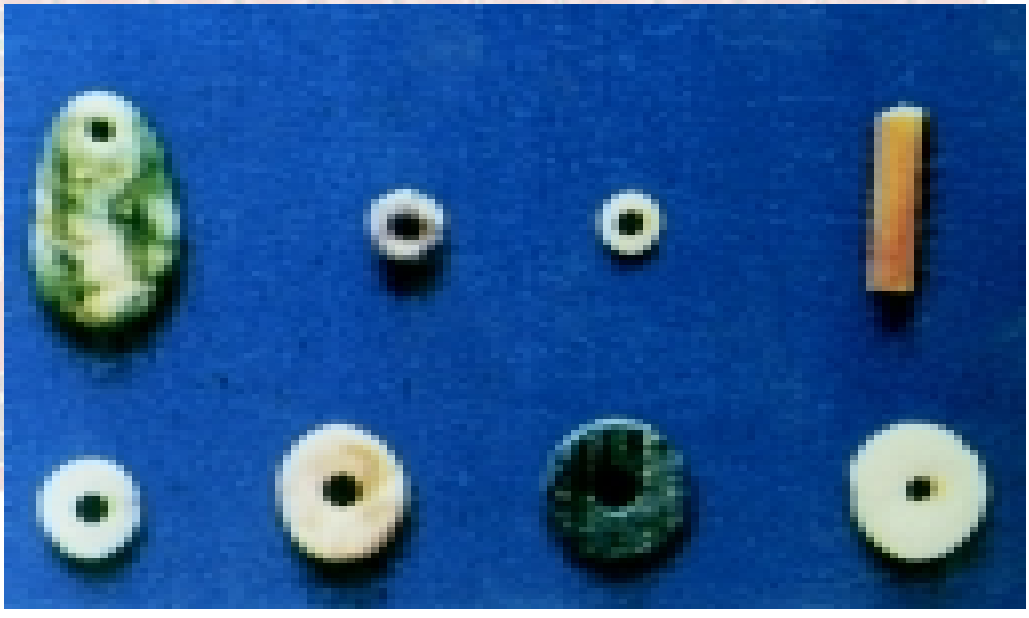

نماذج من الخرز المصنوع من مواد مختلفة، ترجع إلى حضارة أم النار ٢٧٥٠-٢٤٠٠ ق.م.

وفي نهاية منتصف الألف الثالث يبدأ ذكر مركز حضاري آخر في الكتابات المسمارية في بلاد الرافدين، مما يشير إلى أن تحولاً في حركة السكان قد حدث ولم يلبث أن ظهرت على أثره الحضارة التالية.

حضارة دلمون (من ٢٤٠٠ إلى ١٧٠٠ سنة قبل الميلاد). استمر الاستيطان في الجزيرة العربية خلال الجزء الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد، ولكن كثافته تحولت إلى جزء آخر من شرقي الجزيرة العربية. ونتج عن ذلك التحول ظهور حضارة جديدة عرفت باسم حضارة دلمون. وهو اسم أطلقه سكان بلاد الرافدين على الأراضي الواقعة إلى الجنوب من بلادهم، وكانت تربطهم بها صلات تجارية. وعندما حاول الباحثون تحديد هذه الأرض ظهرت عدة آراء خلال القرن الماضي، آخرها رأي للعالم جفري بيبي G. Bibby يعتقد فيه أن المقصود بهذه التسمية هو منطقة الساحل الشرقي للجزيرة العربية والأراضي الداخلية حتى اليمامة في الوسط. كما أشار إلى اعتقاده أن جزيرة البحرين كانت المركز الرئيسي لذلك التجمع البشري. ولكن هناك من يرى أن جزيرة تاروت في شرقي المملكة كانت هي مركز الاستيطان.

وهذه الحضارة من أقدم الحضارات في الجزيرة العربية التي اقترنت بذكر في الكتابات التي أمدتنا بمعلومات عن معبوداتها، وقواربها البحرية، وتجارتها، وصادراتها، وواردتها، وملوكها، وإدارتها، وأهميتها للعالم القديم. ويعتقد أن سبب التغير الذي حدث ونتج عنه تحول مركز الثقل الاستيطاني في الجزيرة العربية، ومن ثم ظهور حضارة دلمون، كان سببه هجرات بشرية قدمت إلى المنطقة من قلب الجزيرة العربية. وكان سبب تلك الهجرات هو تغير مناخي عم وسط الجزيرة العربية، وكذلك تغير حدث في معابر التجارة الدولية مما جعل التحرك للسيطرة على تلك المعابر أمراً حيوياً. ويستدل على ذلك بظهور أنواع من الآنية ذات طابع عملي أكثر منه جمالي، مما يعني أن الهجرات المذكورة جاءت من منطقة لم تكن ذات حضارة راقية.

ويتضح من الانتشار الجغرافي لآنية الفخار والمخلفات الحضارية الأخرى لحضارة دلمون أن جميع أجزاء الجزيرة العربية كانت عامرة بالاستيطان خلال تلك الفترة. وقد اكتشف عدد من المستوطنات من زمن حضارة دلمون،

في جزر فرسان، وعلى ساحل البحر الأحمر الشرقي في المناطق الجنوبية الغربية للمملكة. وفي المنطقة الوسطى وجد عدد من المواقع بالقرب من مطار الملك خالد الدولي، وموقع الخضرمة في الخرج. وفي الإقليم الشمالي يعود موقع جبة بمنطقة حائل إلى هذه الفترة، بالإضافة إلى عدد من المواقع الأخرى التي لم تدرس بعد. ومن مواقع المنطقة الشرقية التي ترجع إلى هذه الفترة تل تاروت، ومواقع جنوب الظهران، ومقابر بقيق، وأم الرماد في الشمال الغربي من واحة الأحساء، وأم النيص في واحة يبرين، والرفيعة، والربيعية، وفاروق الأطرش في جزيرة تاروت في شمال المملكة، وجزيرة المسلمية في الخليج العربي. وفضلاً عن ذلك، تذكر تقارير المسح الشامل لآثار المملكة العربية السعودية لعامي ١٩٧٦م و١٩٧٧م الخاصة بالإقليم الشرقي أن هناك عدداً من المواقع التي تعود مادتها الأثرية إلى زمن هذه الحضارة، إلا أنها لم تدرس بعد.

وأما المادة الأثرية لهذه الحضارة، فهي متنوعة وتشتمل على الثابت، مثل المنازل وما يتصل بها والأسوار والآبار المطوية والمعابد والمقابر المتنوعة في تصاميمها ومساحاتها. أما المادة المنقولة فهي متنوعة أيضاً، وتشمل بشكل عام المصنوعات المعدنية مثل التماثيل الحيوانية والآدمية والأوزان وأدوات الزينة وأمواس الحلاقة والمرايا البرونزية والأسلحة المعدنية. وهناك مجموعات من الأختام والآنية الفخارية، ومجموعات من الآنية الحجرية المصنوعة من عدة أنواع من الصخور، مثل الحجر الصابوني والحجر اللين والمرمر الأبيض.

مصنوعات معدنية، تعود إلى حضارة دلمون ٢٤٠٠- ١٧٠٠ ق.م.

اعتمد اقتصاد حضارة دلمون على دعامتين أساسيتين، هما التجارة والزراعة. أما التجارة، فاقترن اسم دلمون في الكتابات القديمة في بلاد الرافدين باسمين لمكانين، أحدهما عرف باسم ماجان الذي يعتقد أنه الاسم القديم لعُمان أو الركن الجنوبي الشرقي للجزيرة العربية، وعرف الآخر باسم ملوخا الذي يعتقد أنه الاسم القديم لبلاد السند. فمن ماجان استوردت دلمون المواد المعدنية والثمار النباتية والمواد العطرية، ومن ملوخا استوردت الأحجار الكريمة والأخشاب النفيسة وسلعاً أخرى. كما يرد في كتابات بلاد الرافدين منذ زمن أُورك، أي نهاية الألف الرابع قبل الميلاد، أن السلع المصدرة إليها من دلمون تشتمل على الذهب والبرونز والنحاس والفضة والعاج ومصنوعات من العاج، والأخشاب والمرجان الأبيض والعقيق الأحمر واللازورد وعدد آخر من أنواع الأحجار الكريمة ومحار اللؤلؤ والتمور والبصل والعطور وبعض الحيوانات.

ويتضح من المادة الأثرية المكتشفة في مواقع هذه الحضارة أن التجارة كانت مورداً أساسياً، خاصة تجارة المعادن والأواني المصنوعة من الحجر الصابوني، وكان موقع تل تاروت من أهم مراكز تصنيعها. كما عُثر على حجر اللازورد في الرفيعة في جزيرة تاروت، وأم الرماد، ومعروف أن مصدر اللازورد في مدخشتان، وعليه فهو مجلوب من هناك للاستخدام المحلي والتصدير. وعثر على النحاس في مدافن بقيق ومدافن الظهران وفي أم النيص وجزيرة تاروت، ومن المعروف أن مناجمه في عُمان، وعليه كانت هناك تجارة مع تلك الجهات. ووجد العقيق الأحمر في مدافن بقيق ومدافن جنوب الظهران، ويعتقد أنه مستورد من شبه القارة الهندية. كما وجدت كميات من المغرة في مدافن جنوب الظهران، وهي ربما كانت تجلب من جزيرة هرمز للاستخدام المحلي والتصدير أيضاً.

كانت الزراعة، وخاصة زراعة النخيل، إحدى موارد الاقتصاد الرئيسية، إذ تدل المصادر المكتوبة على أن شجر النخيل ينتشر في المنطقة بشكل كثيف، وثمرته أحد الصادرات المهمة.

وتتبين القوة الاقتصادية للحضارة الدلمونية في عمارة المعابد الضخمة، مثل معابد قرية بربارا الأول والثاني والثالث، ومعبد دراز، ومعبد سار. كما أن عمارة المقابر الركامية التي اكتشفت في جنوب الظهران وسدوس وحوطة بني تميم

والخرج وليلى والأفلاج والسليل ووادي الدواسر ومرات والزلفي والشماسية ومواضع أخرى، تدل على قدرة اقتصادية هائلة. وظهور المدن المسورة، كالمدينة الثانية في قلعة البحرين، يدل على وجود ثروات اقتصادية يخشى عليها. ويدل على الشيء نفسه وفرة الحلي، وتنوع الصناعات الفخارية، والأختام، والمجسمات المعدنية، والأوزان.

وبنهاية الربع الأول من الألف الثاني بدأ ذكر أمة عرفت في المصادر التاريخية باسم أمة مدين. فأخذت القيادة من مراكز الحضارة الدلمونية في شرقي الجزيرة العربية لتشكل الحضارة التالية.

حضارة مدين (من ١٧٠٠ إلى ١٠٥٠ قبل الميلاد). يبدو أن الثقل الاستيطاني لأسباب لا نعلمها تحول ابتداءً من نهاية الربع الأول من الألف الثاني قبل الميلاد إلى الشمال الغربي من الجزيرة العربية. فالأبحاث الأثرية تشير إلى اكتشاف مستوطنات كبيرة تحتوي على مادة أثرية ترجع لذلك الزمن. ومن أهم تلك المستوطنات مستوطنة قُرَيّة الواقعة على بعد ٧٠كم إلى الشمال الغربي من مدينة تبوك، وقد شخصت من خلال معثوراتها الأثرية على أنها مركز حضارة أمة مدين، تلك الأمة المعروفة في المصادر التاريخية.

ومن أهم المواقع التي تعود إلى تلك الحضارة تيماء، ومغائر شعيب، والبدع. وتمثل قريّة مستوطنة يحيط بها سور حجري تهدم في مواضع وما يزال قائماً في مواضع أخرى، ويظهر أنه كان مزوداً بأبراج مراقبة على امتداده. كما يحتضن الموقع قلعة قائمة على رأس هضبة مرتفعة وتنتشر حولها الحقول والمزارع والمنشآت المائية، ويعتقد أنها المركز الرئيسي لتلك الحضارة ومركز إنتاج الآنية الفخارية التي بموجبها عرفت المادة الأثرية لهذه

منظر عام لموقع قرية تظهر فيه بقايا السور
منطقة تبوك

الحضارة. واكتشف حديثاً في المنطقة الشمالية الغربية ما يقرب من عشرين موقعاً تحتوي على المادة الأثرية المميزة لحضارة مدين.

وتفيد الأبحاث الأثرية أن الاستيطان استمر خلال النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد متمركزاً في شرق المملكة ووسطها. فقد كشفت حفريات ومقابر جنوب الظهران وتل تاروت عن مادة أثرية تعود إلى الفترات التي تلت فترة ازدهار حضارة دلمون، وتعرف تلك الفترات في الدراسات الأثرية بأسماء تستخدم في التأطير الزمني لحضارة بلاد الرافدين، مثل الفترة الكاشية. ومع اختلاف التسميات إلا أنها تعود زمناً إلى فترة مدين

وفي نهاية النصف الأول وبداية النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد استمر الاستيطان في شرق المملكة العربية السعودية في موقع تل تاروت، ومواقع جنوب الظهران، وموقع مقابر بقيق. كما أن هناك دلائل تشير إلى استمراره في وسطها في موقع زبيدة، حيث تؤرخ الطبقات السفلى في الموقع بموجب تحاليل الكربون المشع C14 إلى منتصف القرن الرابع عشر قبل الميلاد. وقد وجد ما يثبت استمراره في الجزء الجنوبي الغربي في موقع سهي بالقرب من مدينة جازان، حيث أثبتت تحاليل الكربون المشع C14 أن استيطان الموقع يعود لما بين القرن السادس عشر والقرن الثاني عشر قبل الميلاد.

واعتمد الاقتصاد خلال هذه الفترة الحضارية على التجارة والزراعة والرعي. أما في مجال التجارة فقد وجدت المادة الأثرية المميزة لهذه الفترة في مواقع تقع في قلب فلسطين والأردن، وعليه فإن هناك صلات تجارية مع تلك الجهات عن طريقها وصلت المادة الأثرية. ويلاحظ أن الجمل يظهر كأحد العناصر الزخرفية التي يزين بها فخار مدين، ولذا فمن المحتمل أنه كان الوسيلة التي نقلت التجارة بها.

أما الزراعة فيدل على ممارستها ما اكتشف من أحواض زراعية، وسواق لريها، وآبار، وسدود أو حواجز لمياه الأودية والشعاب. وبالإضافة إلى ذلك، فهناك أخبار تاريخية تدل على أن أمة مدين أمة زراعية، بل تدل على أن المنطقة كانت زراعية قبل ظهور هذه الأمة.

أمّا الرعي فإن الرسوم الصخرية في تلك الفترة تحتوي على مناظر لحيوانات أليفة وأخرى فطرية، وتشير إلى أن

الإنسان استأنس كثيراً من الحيوانات قبل ظهور حضارة مدين. ومن الأدلة الأثرية على وجود الثروة الحيوانية تلك المباني الجدارية التي اكتشفت في موقع قُرَيَّة وفسرت على أنها أجزاء من جدران حظائر الحيوانات، بالإضافة إلى وجود الجمل وحيوانات أخرى كعناصر زخرفية تزخرف بها الأواني الفخارية المدينية.

ويستمر الاستيطان كما تفيد الأبحاث الحديثة في الشمال الغربي من الجزيرة العربية حتى منتصف القرن الحادي عشر قبل الميلاد تقريباً، عندما تحول السكان إلى حياة البداوة لفترة من الزمن. ومع حلول الألف الأول قبل الميلاد بدأ ظهور الممالك في الجزيرة العربية، وهي التي عرفت باسم الممالك العربية القديمة والمتوسطة والمتأخرة.